المصدر: الشرق الاوسط
التاريخ : ٢٤ مايو ٢٠٠٥

أوراق عن سورية: المخارج البديلة

سمير عطا الله

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والنظام الشيوعي في اوروبا الشرقية، اعلن العراق، رسميا، انه كلّف سفراءه في اوروبا الشرقية وضع دراسة موضوعية حول انعكاسات الانهيار، وما اذا كانت ستطال الانظمة المشابهة في العالم العربي. واعترف بأنني شعرت بإعجاب شديد. ومع ان النظام كلّف سفراءه بالمهمة وليس مجموعة من الخبراء الروس او الشرقيين. ولم يكلف مثلاً صديقه الاول يفغيني بريماكوف، او من يثق بهم. مع ذلك شعرت ان بغداد قامت بعمل ذكي وطبيعي. وبعد اشهر صدر تقرير السادة السفراء وخلاصته: وجهك اسطع من البدر ولسانك اسلط من السيف.

وعندما بدأت مواجهة الحصار الذي تضربه واشنطن على سورية برفع اليافطات في شوارع بيروت ادركت اننا، سورية ولبنان، نتجه الى كارثة. وعندما صدر القرار ١٥٥٩ بعد ذلك بفترة قصيرة، رأيت ان بداية الكارثة قد حلّت. وازداد عدد اليافطات في شارع الحمراء فازددت خوفا. وقد رويت هناك آنذاك ان الزميلة بتول ايوب دعتني الى مقابلة في «المنار» حول الأمر، فاعتذرت. وقلت لها ان ما سأقوله لن يرضي احدا. وسواء كان هذا القرار جائرا أم تدخلا في شؤون داخلية، فإنه خطوة خطيرة. لقد نقلت اميركا معركتها الى مجلس الأمن من مجلس الشيوخ. والأخطر من ذلك انها نقلت معها فرنسا ايضا. ففرنسا التي حاربت اميركا في العراق، عادت فنقلت وزير خارجيتها الالمعي دو فيلبان الى وزارة الداخلية كأضحية، ثم دخلت مع اميركا في شراكة لا سابقة لها اطلاقاً منذ الحرب العالمية الثانية، في موضوع لبنان. فكان القرار ١٥٥٩.

استمرت يافطات شارع الحمراء في التكاثر والتناسل. وراح المصرحون المألوفون يزيدون عدد التصريحات ايضاً. وكان الخطأ الأكبر ان فاروق الشرع، الذي نجح طوال عقدين، في اظهار سياسة سورية الخارجية بقدرة امتدحهما كثيرون، لم يدرك ان المسألة تخطت بكثير مرحلة الحدة المألوفة والتي كانت تفيد في الماضي. وعندما وقف في لندن يقول ان القرار ١٥٥٩ هو قرار تافه، كان مثيرا ومؤلما ان يغيب عن

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

باله ان روسيا والصين والجزائر وباكستان اقترعت على القرار. وغاب عنه، برغم معرفة طويلة بمجلس الأمن وردهاته وأنفاقه، ان القرار ١٥٥٩ هو بداية لحصار دولي ومعركة مفتوحة مع سورية. والمؤسف ان ذروة تلك الحدة، كانت بداية التراجعات العلنية التي أرغم عليها الشرع. فبعدما اصر على ان سورية باقية في لبنان عامين على الأقل، عاد وأعلن هو بنفسه انها سوف تنسحب تنفيذا للقرار. ثم عاد فأعلن، في حضور تيري رود لارسن ان سورية استكملت سحب الجيش والمخابرات بناء على القرار.

هل كان في الامكان تجنب هذا؟ واستخدم «هذا» هنا كما ترد في النص القرآني عند الاشارة الى أمر جلل، صعب الوصف. كانت سورية تخشى ان يفسر اي انفتاح او تجاوب على انه تراجع او ضعف. ولذلك بحثت عن مخارج. فذهب الرئيس بشار الاسد الى موسكو ليكتشف ان كل شيء قد تغير. وخصوصا رجال الكرملين. وعقد وداً جديداً مع تركيا، متجاهلاً وحول الماضي وسدود الفرات المغلقة والحزب الديمقراطي الكردي. ولكن تبين ان اي علاقة من هذا الحجم في ازمة عالمية من هذا الحجم. ان سورية تحكي لغة قومية صادقة وواضحة بلا غبار، لكن مع عالم جديد لا يفهم تعابيرها ولا يتفهم مضامينها. فهنا لا احد يطالب دمشق بالتخلي عن الثوابت في الجولان او فلسطين ولكن بالانفتاح الداخلي والاطلالة على حداثة المجتمع العالمي. وليس الغاء الاشتراكية ولكن تطوير مفهومها تدريجا كما حصل في بريطانيا او فرنسا.

الى اللقاء

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية